مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١كور ٤ :٩–١٦)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ قد أبرزنا نحنُ الرسلَ آخِرِي الناسِ كأنَّنا مجعولون للموت. لأنَّا قد صِرنا مشهداً للعالمِ والملائكةِ والبشر* نحنُ جهَّالٌ من أجلِ المسيحِ أمّا أنتم فحكماءُ في المسيحِ. نحنُ ضعفاءُ وأنتم أقوياءُ. أنتم مُكرَّمون ونحنُ مُهانون* وإلى هذه الساعةِ نحنُ نجوعُ ونعطشُ ونَعْرى ونُلطَمُ ولا قرارَ لنا* ونتعبُ عامِلين. نُشتَمُ فنبارِكُ. نُضطهَدُ فنحتمِلُ* يُشنَّعُ علينا فنتضرَّعُ. قد صِرنا كأقذارِ العالمِ وكأوساخٍ يستخبثُها الجميعُ إلى الآن* ولستُ لأُخجِلَكم أكتبُ هذا وإنّما أعظُكم كأولادي الأحبَّاءِ* لأنَّهُ ولو كانَ لكم ربوةٌ منَ المُرشدينَ في المسيحِ ليسَ لكم آباءٌ كثيرون. لأنّي أنا ولدتُكم في المسيحِ يسوعَ بالإنجيلِ* فأطلبُ إليكم أن تكونوا مقتدينَ بي.

الولادة بالإنجيل

«لأنَّه وإنْ كانَ لكم ربواتٌ مِنَ المرشدينَ في المسيحِ لكن ليسَ آباءٌ كثيرون. لأنّي أنا ولدتُكم في المسيحِ يسوعَ بالإنجيلِ» (١كور ٤:١٥).

يشدِّد الرسول بولس في الإصحاح الرابع من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس على نوع العلاقة التي تربطه بالمؤمنين الكورنثيين، والتي هي علاقة مميَّزة جداً؛ إنها علاقة أبوّة في المسيح يسوع. فالرسول بولس هو الذي ولدهم، أي أتى بهم إلى الحياة في المسيح بالإنجيل، أي بالإيمان بالمسيح بواسطة البشارة بالإنجيل.

العدد ٣٥/٢٠٠٥

الأحد ٢٨ آب

تذكار أبينا البار موسى الحبشي

اللحن الأول

إنجيل السَحَر العاشر

لا بد من الإشارة هنا إلى الولادة بالماء والروح، التي هي المعمودية، وهي الطريقة الأخرى للولادة في المسيح يسوع. وهاتان الطريقتان ضروريتان معاً للخلاص، لأن «مَن آمنَ واعتمدَ خَلَصَ» (مر ١٦:١٦)، غير أننا سنتكلَّم الآن عن الولادة بالإنجيل.

أن نولد في المسيح يعني أن نجعل الرب يسوع المسيح مبدأ حياتنا، أساس بنائنا الروحي في المسيح: «حسبَ نِعمةِ اللهِ المُعطاةِ لي كبنَّاءٍ حكيمٍ قد وضعتُ أساساً وآخرُ يبني عليه. ولكنِ فلينَظُرْ كلُّ واحدٍ كيف يبني عليه. فإنَّهُ لا يستطيعُ أحدٌ أن يضعَ أساساً آخرَ غيرَ الذي وُضِع الذي هو يسوعُ المسيحُ» (١كور٣:١٠–١١). أما الوسيلة التي يوضع الأساس بواسطتها فهي البشارة (الكرازة)، وفحوى البشارة هو الإنجيل (البشرى السارة بالخلاص). والبشارة قائمة على الكلمة، أي على التعليم بالكلمة، أكانت شفوية (كما في بدء البشارة) أو مكتوبة (كما في الأناجيل مثلاً). وهذه الكلمة هي كلمة الإيمان، كما يقول الرسول بولس: «لكن ماذا يقولُ؟ الكلمةُ قريبةٌ منكَ في فمكَ وفي قلبكَ أي كلمةُ الإيمانِ التي نكرزُ بها» (رو ١٠:٨)

ويقول أيضاً في موضع آخر: «ولكنَّنا نحنُ نكرزُ بالمسيحِ مصلوباً» (١كور ١:٢٣). إذاً فإن كلمة الإيمان والمسيح هما واحد، وبالتالي فإن الرب يسوع يُكرَز به لنا كلمةً، وهذا ما نقله إلينا الإنجيلي يوحنا عندما جعل يسوعَ كلمة في بدء إنجيله: «في البدءِ كانَ الكلمةُ والكلمةُ كانَ عندَ اللهِ وكانَ الكلمةُ اللهَ... والكلمةُ صار جسداً وحلَّ بيننا» (يو ١: ١،١٤)، والإيمان في إنجيل يوحنا هو الإيمان بالكلمة: «فآمنَ الرجلُ بالكلمةِ التي قالها له يسوعُ وذهب» (يو ٤:٥٠).

الإنجيل

(متى ١٧: ١٤-٢٣)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ فجثا لهُ وقال يا ربُّ ارحم ابني فإنَّهُ يُعذَّبُ في رؤوس الأهلَّةِ ويتألَّم شديداً لأنَّهُ يقعُ كثيراً في النارِ وكثيراً في الماءِ* وقد قدَّمتُهُ لتلاميذِك فلم يستطيعوا أنْ يَشفوهُ* فأجاب يسوع وقال: أيُّها الجيلُ الغيرُ المؤمنِ الأعوجُ إلى متى أكونُ معكم. حتّى متى أحتَملُكم. هلمَّ بهِ إليَّ إلى ههنا* وانتهرهُ يسوعُ فخرجَ منهُ الشيطانُ وشُفي الغلامُ من تلكَ الساعة* حينئذٍ دنا التلاميذُ إلى يسوعَ على انفراد وقالوا لماذا لم نستطِعْ نحنُ أنْ نُخرِجَهُ* فقال لهم يسوع لِعَدَمِ إيمانِكم. فإنّي الحقَّ أقولُ لكم: لو كان لكم إيمانٌ مثلَ حبَّةِ الخردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقِلْ من ههنا إلى هناك فينتقلُ ولا يتعذَّرُ عليكم شيءٌ* وهذا الجنس لا يخرجُ إلاّ بالصلاة والصوم* وإذ كانوا يتردَّدون في الجليلِ قال لهم يسوع إنَّ ابنَ البشر مزمعٌ أن يُسلَّمَ إلى أيدي الناس* فيقتلونهُ وفي اليوم الثالث يقوم.

من هذا كلّه يتبيَّن لنا أن هدف البشارة هو الإيمان بيسوع المسيح، وفحوى البشارة هي يسوع المسيح نفسه وليس مجرَّد سرد لحياة الرب يسوع. وعندما تتلى علينا البشارة، أي الإنجيل، علينا أن نأخذ موقفاً منها: «أتؤمن بابن الله»؟ (يو ٩:٣٥)، فلا نكون مستمعين فقط وكأننا نشاهد فيلماً أو نستمع إلى قصة ما. بمعنى آخر فإن البشارة، أي الإنجيل، تضعنا أمام يسوع المسيح نفسه، كلمةً، ونحن نؤمن به أو لا نؤمن، نتخذه أساساً لحياتنا أو نرفضه. وعندما نقبل الإنجيل، أي نقبل يسوع المسيح، عندئذٍ نحن نولد في المسيح يسوع، والذي ينقل لنا هذا الإنجيل يكون من يلدنا في المسيح يسوع.

هكذا فإن الرسول بولس الذي بشَّر الكورنثيين بالرب يسوع وقبلوا يسوع على أساس بشارته، هو بالتالي أبوهم في المسيح يسوع بواسطة الإنجيل الذي بشَّرهم به.

من هنا لا يمكن أن يكون لأحد أكثر من أب واحد في المسيح، والرسول بولس يميِّز بين الأب والمرشد الذي يعين المؤمن في مسيرته الروحية للوصول إلى ملء قامة المسيح. لذا يمكن أن يكون للمؤمن عدَّة مرشدين ولكن الذي ولده في المسيح واحد، مع العلم أن الأب يمكن أن يقوم أيضاً بدور المرشد.

غير أنه لا يمكن للأب الروحي أن يتخطى دوره ليحل محل الرب يسوع، فهو عملياً يقوم بدور الوسيط والمساعد: «فمن هو بولسُ ومَن هو أبلُّوسُ. بل خادمانِ آمنتم بواسطتهما كما أعطى الربُّ لكلِّ واحد. أنا غرستُ وأبلُّوسُ سقى لكن اللهَ كانَ يُنمّي. إذاً ليسَ الغارسُ شيئاً ولا الساقي بلِ اللهُ الذي يُنمّي» (١كور ٣: ٥-٧). نرى ذلك أيضاً في قصة السامرية في إنجيل يوحنا، التي أخبرت أهل السامرة بما فعل يسوع معها «فآمنَ به (بيسوع) مِن تلكَ المدينةِ كثيرونَ من السامريين بسبب كلام المرأة التي كانت تشهد أنَّهُ قال لي كُلَّ ما فعلتُ» (يو ٤:٣٩). فقال لها السامريون في الأخير «إننا لسنا بعدُ بسببِ كلامكِ نؤمنُ لأنَّنا نحنُ قد سمِعنا ونعلمُ أنَّ هذا هو بالحقيقةِ المسيحُ مخلِّصُ العالمِ» (يو ٤:٤٢). وهذا حصل بعد أن قبِلَ السامريون يسوع و«سألوهُ أن يمكثَ عندهم. فمكثَ هناكَ يومين فآمنَ بهِ أكثر جداً بسبب كلامه» (يو ٤: ٤٠-٤١).

على الأب الروحي أيضاً تربية ابنه الروحي وتنشئته على الكلمة الإلهية لينمو في معرفة الرب يسوع. وبما انَّ الرب يسوع يصل إلينا كلمةً، بإمكاننا تعميق معرفتنا به عن طريق حفظ كلامه المحفوظ لنا في الكتاب المقدس، والسلوك بموجبه لنصل إلى ملء قامة المسيح (أف ٤: ١٣).

البيئة

قرّرت الكنائس الأرثوذكسية منذ سنوات اعتبار الأول من أيلول، رأس السنة الطقسية، يوماً للبيئة لتذكير المؤمنين بالوديعة، أي الأرض وما عليها، التي وهبّهم إياه الله في الخلق عندما خلق الإنسان وأعطاه السلطان «على كل الأرض» (تك ١: ٢٦)، وان واجبهم هو الحفاظ على خليقة الله بأسرها. بهذا يكونون على صورة الله بالفعل ويتممون البُعد الكهنوتي الموجود في بشريتهم، أي يرفعون الخليقة إلى الله من خلال أعمالهم وصلواتهم.

ليس هناك داعٍ للإستفاضة في شرح ما تعانيه خليقة الله، الأرض وما عليها، من مشاكل بيئية: الإحتباس الحراري، ارتفاع حرارة الأرض، انقراض الغابات، التلوث الناتج عن المصانع والسيارات ووسائل النقل الأخرى، تقلص الأراضي

تأمل

«حينئذٍ دنا التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا: لماذا لم نستطع نحن أن نخرجه؟ فقال لهم يسوع: لعدم إيمانكم. فإني الحقَّ أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبّة الخردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يتعذّر عليكم شيء» (متى ١٧: ١٩–٢٠).

أعتقد هنا أن التلاميذ خافوا من إمكانية خسارة النعمة التي أعطيت لهم. فقد أخذوا سلطةً على الأرواح النجسة (متى ٨:١٠)، لذلك سألوا الرب على انفراد دون خجل (كان الشفاء قد تمّ وقد وُبّخوا، ولذلك لم يخجلوا بعدها من الاعتراف بضعفهم). أرادوا أن يستفهموا عن هذا الأمر الغريب العظيم. لماذا قال لهم المسيح «لعدم إيمانكم»؟ لو كان لكم إيمان مثل حبّة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم.

لو سألتني: ومتى حدث أن نقل أحد جبلاً أجبتُ: لقد فعل الرسل أعظم بكثير من نقل الجبال عندما أقاموا أمواتاً. فإن نقل الجبل لا يتساوى مع إقامة الأموات. إلا أن البعض ممن عاشوا بعد

الصالحة للزراعة (التصحُّر)، انقراض الثروات الحيوانية والسمكية، تلوث المياه الجوفية الصالحة للشرب وجفاف الأنهر، وغيرها من المشاكل الكثيرة.

ما يؤسف ان الإنسان هو مصدر هذه المشاكل التي ترتد عليه وتسبِّب له الأمراض، وذلك بسبب الجشع والطمع بحفنة من الأموال. مشكلة الإنسان انه لم يعد يتعاطى مع الأرض على أنها خليقة الله المؤتمن عليها ولم يعد يعمل لتأمين استمرارية الحياة على هذا الكوكب. استبد ل مهامه المقدسة بمصالحه الضيقة الآنية.

من الناحية اللاهوتية، الاستمرار في هذا النهج التخريبي للبيئة هو خطيئة تجاه الله وخليقته وسوف نحاسب على أفعالنا لأننا نسيء استعمال سلطاننا، ونستبدل المحبة بالأنانية والقتل. لقد قال قداسة البطريرك المسكوني في إحدى محاضراته: «... ارتكاب الأذى ضد طبيعة الكون خطيئة. أن يدمِّر الإنسان التنوّع البيولوجي لخليقة الله، ويستبيح حرمة الأرض فيتسبَّب بتغيّرات مناخية خطيرة، ويجرِّد الأرض من غاباتها، ويدفع الجراثيم البيولوجية والمواد الكيماوية إلى الأرض والجو، ويلوِّث مياه الأرض والهواء والحياة على مختلف أنواعها بالمواد السامة، كل ذلك خطيئة». الأرض في خطر بين أيدينا لأن الشيطان أفسد عقولنا ونفوسنا كما أفسد آدم منذ القديم، وصارت الخطيئة شيئاً طبيعياً في تصرفاتنا وحياتنا. لم نعد مشاركين الله في الخلق المستمر. فقدنا هذه النعمة التي أعطانا إياها منذ البدء.

«العالم يحيا في أزمة لاهوتية - بيئية» على ما قال أحدهم. لقد أخذ البشر من الكتاب المقدس ما يحلو لهم. لم يروا سوى ان الله خلق كل شيء للإنسان وأن الله يريد خير الإنسان وخلاصه وأن كل شيء مخلوق من أجل خير الإنسان، لكنهم أساؤوا استعمال السلطان وصاروا يعملون لخلاصهم وخيرهم وحدهم غير مفكرين في الأجيال التي ستليهم بل وغير مهتمين بمن يعيش معهم. المهم أن يحيا الإنسان اليوم في رفاهية ونعيم والله يُدبِّر الأجيال اللاحقة. هذا خطأ، بل خطيئة. على الإنسان أن يعمل من أجل خلاص وخير الإنسان الآخر، ليس فقط من أجل خلاص وخير نفسه. الأنانية هنا هي الخطيئة. لقد بدأنا فعلاً نحصد نتائج خطايانا البيئية.

علينا كمسيحيين أن نعلن توبة بيئيةً عن كل خطايانا تجاه خليقة الله وأن نتوب أمام الرب يسوع الذي «الكل به وله قد خُلق» (كو ١٦:١). والتوبة تعني تغيير الاتجاه بالكامل. ليس هناك أنصاف حلول. التوبة تتطلب وعياً وتوعية . والتوعية من واجب الكنيسة.

لقد خلق الله الكون وكل ما فيه وقال عنه انه حسن بكل ما فيه. لم يخلق الإنسان ليعيش وحده على وجه المعمورة. الأرض مكان لإقامة كل الخليقة بما فيها الإنسان (تك ١)، ودعوة الإنسان أن «يعملها ويحفظها» (تك ١٥:٢). وإذا ما خالف دعوته فهو يخطئ، تماماً كما لو خالف إحدى الوصايا الأخرى. عندما سقط الإنسان في البدء لم يسقط لوحده بل سقطت الخليقة كلها معه، والله لما أراد أن يخلّص الإنسان أراد أن يخلّص الخليقة كلها معه «لأن الخليقة نفسها أيضًا ستُعتَقُ من عبوديّةِ الفسادِ إلى حريَّةِ مجْدِ أولادِ الله. فإننا نعلمُ أنَّ كلَّ الخليقةِ تئِنُّ وتتمخَّضُ معًا إلى الآنَ» (رو ٢١:٨–٢٢). الله يريد الخير لكل الكون ولا خلاص لنا إلا بعلاقة جيدة مع كل خليقة الله. متى أخطأنا إلى خليقة

زمن الرسل، وهم أقلّ منهم رتبة وقدرة، عُرفوا بالقديسين، نقلوا جبالاً عند الضرورة. إذاً من المؤكد أنه كان باستطاعة الرسل أن يفعلوا ذلك لو اقتضى الأمر. فإن لم يكن من حاجةٍ لذلك فلا داع لأن تدينهم. فضلاً عن ذلك، لم يقل الرب سوف تنقلون حتماً الجبال، بل قال حتى هذا يمكنكم أن تفعلوه. فإن لم ينقلوا الجبال فهذا لا يعني أنهم لا يستطيعون فعل ذلك، لأنه كيف يمكن تصوّر ذلك وقد استطاعوا فعل عجائب أعظم؟. هذا لأنهم إمّا لم يريدوا أو لم تقتض الحاجة، أو ربما حصل ذلك ولم يُدوَّن، لأن العجائب لم تدوَّن كلّها. طبعاً كان التلاميذ آنذاك ضعفاء بعد روحياً.

الإيمان الذي يتكلم عنه السيّد هو الذي يجعل الإنسان يصنع العجائب. يذكر حبّة الخردل ليُظهر قدرة الإيمان التي لا توصف. فكما ان حبّة الخردل التي تبدو صغيرة ولكن فاعليتها تفوق سواها من الحبوب، كذلك الإيمان القليل جداً إذا كان على قلّته أصيلاً هو قادر على أن يقوم بأعظم الأشياء. لذلك تكلم عن الخردل، ولم يكتفِ بذلك بل أضاف الكلام عن الجبل، ثم أضاف: «ولا يتعذّر عليكم شيء».

القديس يوحنا الذهبي الفم

الله فنحن نخطئ إلى الله نفسه لأن كل الكون حسنٌ في عيني الله.

إذاً، ماذا علينا أن نفعل؟ علينا أن نتوب ونغيِّر تصرفاتنا. أن نعيد النظر في كافة ما نقوم به ابتداءً من كيس النفايات المنزلية الذي نلقيه على قارعة الطريق إلى الإمتناع عن قتل الطيور وقطع الأشجار واستعمال الآليات التي تبث السموم في الهواء إلخ... المهم أن نعي أن الأرض أمانة وضعها الله بين أيدينا لنحفظها لنا ولأجيال أخرى من بعدنا. الأجيال التي بعدنا هي أمانة في أعناقنا علينا أن نؤمِّن لها الخير كما نسعى لأنفسنا. بكلام آخر علينا أن نكون فعلاً على صورة الله ومثاله، الله الخالق والحافظ كل الخليقة. علينا أن نعبد الله بكل كياننا وأفعالنا، لأن أفعالنا هي دليل على كياننا وإيماننا. الإناء ينضح بما فيه. صلواتنا يجب أن تكون مقرونة بالأفعال وإلا أصبحت ترداداً فارغاً للكلمات. وفي مرحلة لاحقة علينا أن نسعى إلى ردع كل من يدمّر البيئة والكون والمناخ.

باسم الرب يسوع المسيح ولأجله ندعو الجميع للمشاركة في استعادة أرض الله إلى ما كانت عليه، أو إلى ما كان يقصد منها الله عندما خلقها حسنة جداً.

من أخبار القديسين

عندما كان القديس افرام مزمعاً أن يغادر هذه الحياة سلّم تلاميذه الوصية التالية: لا ترتلوا لافرام ترتيلة، لا تكفّنوه بثياب مفخخة، لا تدفنوا جسدي في قبر خاص لأني قد وعدت الله أن أدفن في مدفن الغرباء لأني غريب ومقيم شأن جميع آبائي. وإذا كان أحد منكم قد صنع ثوباً مفخخاً ليكفّن به جسدي لحبه لي، فليعطه للمحتاجين.

وبعدما أوصاهم بهذه الأمور كان أحد الإخوة الحاضرين قد صنع ثوباً ثميناً ليوشّح به جسد القديس، لكنه لما سمع وصاياه حزن جداً لأن ما كان ينوي عليه غدا مستحيلاً، خاصة أنه كان من أحبّ رهبانه وأبرزهم. ففكر ألا يعطي الثوب للفقراء، مرتئياً أنه من الأفضل إعطاؤهم كمية من الذهب تساوي قيمة الثوب. وكما يبدو لم يدرك الراهب أهميَّة الوصية لأنه لو أعطى الثوب للفقراء لجعل البار يُسرُّ أكثر بكثير من تشبثه برأيه وتنفيذ إرادته.

فلم يحسّ بالأمر إلاّ بعدما حلّت به الكارثة جزاءَ عصيانه، لأن روحاً شيطانياً رديئاً دخل فيه وأخذ يعذبه بأفكار سيئة عذاباً شديداً لمخالفته، مما جعله يدور حول سرير القديس أمام الجميع ويضرب ذاته ويطوِّح بيديه ويقلب عينيه ويصرّ بأسنانه ويفعل أشياء أخرى نظير المجانين. هذا لأن مخالفته جعلت الله يسمح بتسليمه لعذاب الشيطان الذي أطاعه وفضلّه على الوصية الأبدية.

أما القديس الذي كان يبصر بالروح كل الأشياء الخفية، فإنه عندما شاهد الراهب في هذه الحالة التعيسة قال له: هل أدركت ان عذابك هذا إنما هو ثمرة الخطيئة؟ فماذا فعلت يا إنسان حتى جلبت على نفسك هذا الخطر المخيف؟ فعاد المصاب إلى رشده للحال وأخذ يعترف بإثمه معلناً عصيانه وموبخاً أفكاره الضعيفة. وبعدما انتهى من اعترافه تحنن القديس افرام عليه، وإذ صلّى وضع يديه على رأسه وطرد منه الشيطان.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb